2e me. année No 986

Le Caire 26—5 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٨٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢ رمضان سنة ١٣٧١ — ٢٦ مايو سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

رمضان

للاستاذ على الطنطاوى

لما قصدت أكتب هذا الفصل ، تقابلت فى نفسى صورتان لرمضان :

رمضان المزعج الثقيل ، الذى قدم يحمل الجوع فى هذه الأيام الطوال ، والعطش فى هذا الحر المتوقد ، يمشى فى ركابه السحر بنشيده الممل ، وصوته الأجش ، وطبلته التى يقرع بها رؤوس النائمين ، من نصف الليل ، من قبل السحور بساعتين ، فتزعج أعصابهم رجا ، وتنفى النوم من عيونهم ، والراحة من أجسادهم . .

ورمضان الحلو الجميل ، الذى يقوم فيه الناس فى هدآت الأسحار ، وسكنات الليالى ، حين يرق الأفق ، وتزهر النجوم ، ويصفو الكون ، ويتجلى الله على الوجود يقول : ألا من مستغفر فأغفر له ؟ ألا من سائل فأعطيه ؟ ألا من تائب فأتوب عليه ؟ يسمعون صوت المؤذن يمشى فى جنبات الفضاء ، مشى الشفاء فى الأجسام ، والطرب فى القلوب ، ينادى : يا أرحم الراحمين . فيسرى الإيمان فى كل جنان ، ويجرى التسبيح على كل لسان ، وتنزل الرحمة فى كل مكان

ورمضان الذى يثيب فيه الناس إلى الله ويؤمون بيوته ، فى كل بلد من بلاد الإسلام مساجد ، حفل بالعباد والعلماء ، ليس يخلو مجلس فيها من مصل أو ذاكر ، ولا أسطوانة من قال أو قارئ ، ولا عقد من مدرس أو واعظ ، قد ألقوا من قلوبهم أحمال الإثم والمعصية ، والغل والحسد ، والشهوات والمطامع ، ودخلوا بقلوب صفت للعبادة ، وسمت للخير ، قطعوا أسبابهم من عالم الأرض ليتصلوا بعالم السماء . تفرقوا فى البلدان ، واجتمعوا فى الإيمان ، وفى الحب ، وفى هذه القبلة يتوجهون كلهم إليها ، لا عبادة لها ، ولا اتجاه إليها ، فما يعبد المؤمن إلا الله . وما الحجر الأسود إلا حجر لا يضر ولا ينفع ، ولكن رمزا إلى أن المسلمين مهما تناءت بهم الديار ، وتباعدت الأقطار دائرة واحدة ، يحيطها الأرض كلها ، ومركزها الكعبة البيت الحرام ، رمضان الذى تجتلى فيه أجل صفحات الوجود

إن الحياة سفر فى الزمان ، وركب الحضارة الغربية يقطع أجل مراحل الطريق : مرحلة السحر ، وهم نيام ، ولولا رمضان ما رأينا جمال السحر

ورمضان الذى تتحقق فيه الاشتراكية ، وتكون المساواة ، فلا يجوع واحد ويتخم الآخر ، بل يشترك الناس كلهم فى الجوع وفى الشبع ، يفطرون جميعا فى لحظة واحدة ، ويمسكون جميعا فى لحظة واحدة ، كأن المسلمين كلهم طلاب مدرسة داخلية ، يجتمعون على مائدة واحدة . تراهم فى المساء مسرعين إلى بيوتهم ، أو قائمين على مشارف دورهم ، أو على أبواب منازلهم ، فإذا سمعوا طلقة المدفع ، أو رأوا ضياء المنارة ، أو رن فى آذانهم

صوت المؤذن ، صاح الأولاد بنغمة واحدة موزونة : أذن . . أذن . . وانطلقوا إلى دورهم طائرين كعصافير الروض

فإذا فرغ الناس من طعامهم ، أموا المساجد ، فقاموا بين يدى الله صفا واحدا ، لا غنى ولا فقير ، ولا صغير ولا كبير ، متراصة أقدامهم ، ملتحمة أكتافهم ، وجباههم جميعا على الأرض ، فأين فى الوجود مساواة مثل هذه المساواة !

رمضان الذى يجمع للصائم صحة الجسم . وصحة الروح ، وعظمة النفس ، ورضا الله

إن الصيام من سنن الرياضيين ، وسلوا كتب الرياضة ، وسلوا شيخها اليوم مكفارن ، وأنت طبيبا ولكنى جربت بنفسى ، ورب مجرب أوعى من طبيب

فأنا أحد من أضنتهم الرثية [1] والحصوات فى الكلى ، وثقوا أننى راجعت فى علاجها ستة وثلاثين طبيبا ، إى والله ، وأحسبنى جربت كل علاج ، فلم أجد لها مثل الصيام إلا من الماء والحليب وعصير البرتقال

وهذه سنة من سنن الله فى الكون : من أكل أقل أصابه السل ، ومن أكثر ركبته الأملاح والرثيات والنقرس ، ولولا ذلك لأكل الأغنياء أكل الفقراء . تقول لهم (الطبيعة) التى طبعهم الله عليها : قفوا ! فالمرض بالمرصاد ، لن نقص فى الأكل أو زاد

هذه صورة رمضان الحلوة ، أفلا تستحل معها مرارة الصورة الأخرى ؟

رمضان الذى تشيع فيه خلال الخير ، ويعم الحب والوئام ، فإذا أردتم أن تصوموا حقا فصوموا عن الأحقاد ، واذكروا ما فى أعدائكم من خلال الخير ، فأحبوهم لأجلها ، واغفروا لهم ، وادفعوا بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينكم وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وليس يخلو أحد من خلة خير ، وليس فى الدنيا شر مطلق ، حتى الموت ! فإنها قد تمر بنا ساعات نرتجى فيها الموت ، حتى إبليس فإن له مزية الثبات والذكاء . وما أمدح إبليس ! لعنة الله على إبليس ، ولكن أضرب للناس الأمثال !

وإذا جمتم هذا الجوع الاختيارى ، فاذكروا من يتجرع غصص الجوع الإجبارى ، واشكروا ربكم على نعمه . وليس الشكر أن ترددوا ألف مرة باللسان : الحمد لله ! الحمد لله ! ولكن شكر الغنى البذل للفقراء ، وشكر القوى إسعاد الضعفاء ، وشكر السلطان إغاثة اللهفان

وأعطوا من نفوسكم كما تعطون من أموالكم ، فرب بسمة مع العطاء ، تنعش السائل أكثر من العطاء ، وكلمة خير لجار تحمى الجار ، وبش فى وجه ذى الحاجة والاعتذار عنها خير من قضائها مع الترفع عليه عند السؤال ، والمن عليه بعد النوال

واذكروا أن الله خلق الإنسان مركبا من ملك وشيطان وحيوان ، فإذا هدأ الحيوان فى رمضان بترك الطعام ، وخنس الشيطان بردع الشهوة ، بقى الملك ، فتخلقوا بأخلاق الملائكة ، فلقد كان السلف الأولون ملائكة الخير فى الأرض ، وكانوا يعيشون عيش الملائكة ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، قد فرغوا من شهوات البطن ، فأجزأتهم تمرات فى اليوم ، وفرغوا من هم ما تحته ، فلا تستهويهم شهوة ، ولا يستميدهم جمال ، وعاشوا لهدف واحد ، هو الواجب ، فكان كل مسلم قطعة من هذه الآلة الضخمة الهائلة ، التى أدارها الشرع ، فأدارت الفلك

كانوا يقومون لله ، ويقعدون لله ، ويأخذون لله ، ويدعون لله . دعوا إلى البذل فأعطوا ؛ جهز عثمان جيش العسرة من ماله ، وأعطى عمر نصف ماله ، وأعطى أبو بكر ماله كله ، فقالوا ماذا تركت لأهلك ؟ قال : تركت لهم الله ورسوله

ودعوا إلى الجهاد ، فجادوا بنفوسهم فى سبيل الله ، وأتوا العجائب ، وقحموا الأهوال ، حتى فتحوا ثلث العالم فى ثلث قرن ، ودعوا إلى العلم فكانوا أساتذة العالم . كانوا جنا فى النهار ، ورهبانا فى الليل ، وكانوا أكبر من الدنيا ، لا لأنهم ملكوا الدنيا ، فالدنيا لا يملكها كلها أحد ، بل لأنهم زهدوا فى كنوزها ، فصارت كنوزها هى والتراب عندهم سواء . وأنت إن كنت تملك قرشا ولا تطلب غيره ، أغنى

---

[1] الرثية : الروماتيزم